الفصل الرابع

اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر

جماعة التبليغ

جماعة التبليغ جماعة إسلامية تقوم دعوتها على تبليغ فضائل الإسلام لكل من تستطيع الوصول إليه ملزمة أتباعها بأن يقطع كل واحد منهم جزءا من وقته لتبليغ الدعوة ونشرها بعيدًا عن التشكيلات الحزبية والقضايا السياسية . ويمكن أن توصف هذه الجماعة بأنها مناسبة إلى حد بعيد لحالة المسلمين فى الهند باعتبارها أقلية فى مجتمع كبير[1] .

مؤسسها :

أسس جماعة التبليغ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى (١٣٠٣ – ١٣٦٤هـ) ، ولد فى كاندهلة ، قرية من قرى سهارنفور بالهند ، تلقى تعليمه الأول فيها ثم انتقل إلى دهلى حيث أتم تعليمه فى مدرسة (ديوبند) التى هى أكبر مدرسة للأحناف فى شبه القارة الهندية تأسست عام ١٢٨٣هـ – ١٨٦٧م[2] .

---

(١) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة ١١٥ .

(٢) السابق .

اتجه الشيخ محمد إلياس – إلى البحث عن طريقة للاتصال بطبقات الشعب المسلم .. لإثارة شعورهم الدينى ، وإحساسهم بخطر الردة المحدق بهم ، وتذكيرهم بحاجتهم إلى بارئهم وضرورة الاستعداد ليوم لقائه .. فرأى أن يبدأ مسلكه الجديد بتحريك الإيمان فى قلوبهم وتعريفهم بمبادىء الإسلام ودعوتهم إلى تطبيقها وحثهم على العلم والاشتغال بذكر الله .

ورأى الشيخ – رحمه الله – أن الدعوة لا يرجى لها الاستمرار والانتشار إلا إذا تولاّها رجال متطوعون محتسبون بعيدًا عن الاعتماد على جمع التبرعات والإعانات ، وبعيدًا عن هدر الأوقات والجهود فى الأساليب الإدارية الروتينية . فاختار لحركته أن تطالب المسلم بالفائض من وقته وجهده بدلاً من أن تطالبه بالفائض من ماله ، وأن تبتعد عن اللغو السياسى والشعارات واللافتات الحزبية والمظاهر الإدارية الحديثة[1] .

فى الهند والباكستان :

وعلى هذا المنهج بدأت « جماعة التبليغ » خطواتها الأولى للدعوة إلى الله فى منطقة « ميوات » من جنوب الهند .. داعية الناس إلى شغل أوقات فراغهم بالخروج من بيئاتهم الفاسدة المألوفة إلى مناطق أخرى يعيشون فيها حياة المسلم العادية كما سنها رسول الله ﷺ ويتعودون فيها على عمارة بيوت الله وأداء فرائضه ودعوة غيرهم إلى ذلك .

وقد أثرت هذه الحركة بفضل الله فى أهل المنطقة فأخذوا يعودون إلى الإسلام وإلى الدعوة إليه (على منهج الجماعة) ، ثم أخذت

(١) ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى المعاصر ٥٧١ .

الدعوة تدريجيًا فى الانتشار فى الهند والباكستان حيث قام المسلم الداعى إلى الله يحمل زاده ومتاعه ويعيش بين المدعوين إلى الله يخالطهم ويؤاكلهم ويذكرهم بالله فى كل وقت وعلى كل حال ، ويجعل من نفسه قدوة لهم فى الالتزام بما يدعو إليه[1] .

التنظيم :

المركز الرئيسى للجماعة هو المسجد القديم فى منطقة نظام الدين بجنوب دلهى ، ويقيم فيه أميرها وبعض قدمائها ، ويعود إلى هذا الأمير العام اختيار أمراء الجماعة فى كل قطر بعد التشاور مع المجتهدين فى ذلك القطر .

وليس للجماعة نظام مكتوب أو سجل ثابت للأعضاء أو رسم عضوية . وليس لها ميزانية ولا جهاز إدارى ولا تصدر عنها تقارير إعلامية من أى نوع .. ولا تعتمد على الكلمة المكتوبة عمومًا فى نشر دعوتها أو الإعلان عن اجتماعاتها أو إنجازاتها .. إنما تستعمل الوسيلة الفطرية القديمة .. الكلمة المنطوقة من فم رجل إلى أذن آخر ويسخّر لنشرها جميع أفراد الجماعة من خلال نشاطهم العادى .

ويتحمل نفقات الدعوة (وهى زهيدة) كل مشترك فيها يدفع قبيل خروجه ما يكفى قوته ووسيلة نقله مدة ثلاثة أيام على الأكثر ، ويحمل معه متاعه وفراشه ، ويقيم مع رفقائه فى المساجد ولكل بلد أمير ولكل جماعة خارجة أمير يختاره أمير المركز بالتشاور مع القدماء والمجتهدين فى مركزه .

---

(١) السابق ٥٧٢ .

وعلى كل فرد منهم تفريغ وقته للخروج فى سبيل الله للدعوة ثلاثة أيام فى الشهر وأربعين يومًا فى السنة وأربعة أشهر فى حياته على الأقل ، وأن يشترك فى حلقتى علم يوميا إحداهما فى مسجده مع أقرانه والأخرى فى بيته مع أولاده وأهله للمحافظة على ذكر الله ، ولتدارس فضل العمل الشرعى وثوابه عند الله حتى تزداد رغبتهم فيه واهتمامهم بحسن أدائه[1] .

المنهج :

ينحصر منهج جماعة التبليغ فى وعظ المسلمين ومحاولة نقلهم من بيئات الغفلة إلى المساجد .. وتعويدهم على ترك المعصية وأداء الطاعة وتسيير حياتهم اليومية وفقا لشرع الله وعلى سنة رسول الله ﷺ سواء فى علاقتهم بالله أو بخلق الله ، وسواء فى أدائهم للفرائض والنوافل أو قيامهم بعاداتهم من أكل وشرب ونوم وتعامل مع كل مخلوق .

وركيزتهم الأساسية فى هذا المنهج : الموعظة ويطلقون عليها « البيان » وتشمل فى الغالب من أيام اجتماعاتهم الوقت بين صلاة المغرب وصلاة العشاء ، وموضوعها الدائم : أصول الدعوة الستة أو الصفات الست من صفات الصحابة التى يرون من الضرورى تدريب المسلم عليها باعتبارها مفاتيح للدين إذا تحققت فى حياته سهل عليه فتح أبواب دينه ونشره فى العالم[2] .

---

(١) اتجاهات الفكر الإسلامى المعاصر ص ٥٧٣ .

(٢) السابق ٥٧٤ .

ومبادئهم الستة هى كما يلى :

١ – تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله عمليا فى حياة المسلم بطاعة الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه والتوكل عليه وحده والاقتداء بسنة رسوله ﷺ فى العبادات والعادات .

٢ – الصلاة ذات الخشوع والخضوع .

٣ – العلم مع الذكر ، والمقصود بالعلم علم الفضائل لا علم الأحكام .

٤ – إكرام المسلمين .

٥ – تصحيح النية .

٦ – الخروج فى سبيل الله ، ويقصد بهذا الخروج ؛ الانتقال من مسجد إلى مسجد ومن حى إلى حى ومن بلد إلى بلد ومن دولة إلى دولة لإصلاح النفس وإصلاح غيرهم عن طريق الموعظة وتغيير البيئة والتعود على الطاعة .

وسياجًا على كل ذلك « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[1] .

طريقتهم فى نشر الدعوة :

١ – تنتدب مجموعة منهم نفسها لدعوة أهل بلد ما ، حيث يأخذ كل واحد منهم فراشًا بسيطًا وما يكفيه من الزاد والمصروف على أن يكون التقشف هو السمة الغالبة عليه .

---

(١) السابق ٥٧٤ . وانظر – أيضًا – د/صادق أمين :الدعوة الإسلامية ٦٩ . والموسوعة الميسرة ١١٧ .

٢ – عندما يصلون إلى البلد أو القرية التى يريدون الدعوة فيها ينظمون أنفسهم أولا بحيث يقوم بعضهم بتنظيف المكان الذى سيمكثون فيه ، وآخرون يخرجون متجولين فى أنحاء البلدة والأسواق والحوانيت ، ذاكرين الله داعين الناس لسماع الخطبة أو (البيان) كما يسمونه .

٣ – إذا حان موعد البيان التقوا جميعًا لسماعه ، وبعدها يقسمون الناس الحاضرين إلى مجموعات يتولى كل داعية منهم مجموعة يعلمهم الوضوء أو الفاتحة أو الصلاة أو تلاوة القرآن .. حلقات حلقات ويكررون ذلك عددًا من الأيام .

٤ – قبل أن تنتهى إقامتهم فى هذا المكان ينتدبون الناس للخروج معهم لتبليغ الدعوة حيث يتطوع الأشخاص لمرافقتهم يومًا أو ثلاثة أيام أو أسبوعًا .. أو شهرًا .. كل بحسب طاقته وإمكاناته ومدى تفرغه تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ .

٥ – يرفضون إجابة الدعوة إلى الولائم التى توجه إليهم من أهل البلدة أو الحى حتى لا ينشغلوا بغير أمور الدعوة والذكر ، وليكون عملهم خالصًا لوجه الله تعالى .

٦ – لا يتعرضون إلى فكرة (إزالة المنكرات) معتقدين بأنهم الآن فى مرحلة إيجاد المناخ الملائم للحياة الإسلامية ، وأن القيام بهذا العمل قد يضع العراقيل فى طريقهم وينفر الناس منهم .

٧ – يعتقدون بأنهم إذا أصلحوا الأفراد فردًا فردًا فإن المنكر سيزول من المجتمع تلقائيًا .

٨ – إن الخروج والتبليغ ودعوة الناس هى أمور لتربية الداعية ولصقله عمليا إذ يحس بأنه قدوة وأن عليه أن يلتزم بما يدعو الناس إليه[1] .

هذا .. وتبدأ أعمال الخروج فور ركوبهم وسيلة السفر بقراءة القرآن والحديث ، وعند وصولهم المسجد وأداء تحيته يجتمعون للشورى حول ترتيب عملهم وتوزيعه خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة على الوظائف التالية :

١ – إعداد الطعام ويقوم به اثنان منهم أو ثلاثة .

٢ – زيارة إمام المسجد ومركز الشرطة والمهمين من أهل الحى .

٣ – إمارة حلقة التعليم .

ولعل من المناسب أن نذكر لك أيها القارىء الكريم عمل الجماعة خلال أربع وعشرين ساعة فنقول :

أولا : حوالى الساعة التاسعة صباحا يجتمعون على « حلقة التعليم » وتقتصر على :

١ – تلاوة العشر سور الأخيرة من القرآن يشترك كل منهم فى القراءة والاستماع .

٢ – قراءة بعض الأحاديث النبوية فى فضائل الأعمال من كتاب « رياض الصالحين » للنووى خاصًا بالعرب ومن كتاب « تبليغى نصاب » لمحمد زكريا الكاندهلوى خاصا بالعجم .

---

(١) الموسوعة الميسرة ١١٧ و١١٨ .

٣ – التدريب على إلقاء الموعظة بتعداد الأصول الستة أو الصفات الست (التى مر ذكرها) إجمالاً أو تفصيلاً .

٤ – تدارس آداب وأصول الجماعة وهى كالتالى :

– الالتزام بأربع : طاعة الأمير ، الاشتراك فى الأعمال الجماعية ، الصبر والتحمل ، نظافة المسجد .

– الاشتغال بأربع : الدعوة ، العبادات ، حلقة التعليم ، الخدمة .

– التقليل من أربع : الطعام ، المنام ، الكلام ، وقت قضاء الحاجات .

– تجنب أربع : الإسراف ، الإشراف ، السؤال ، استعمال ملك غيره إلا بإذنه .

– عدم الخوض فى أربع : المسائل الفقهية ، المسائل السياسية ، أوضاع الجماعات الأخرى ، الجدال .

– عند زيارة الحكام تبين لهم الأحوال (نشاط الجماعة) والعلماء يطلب منهم الدعاء والمثقفون يدعون دون إلحاح ، ويركز فى الدعوة على العوام .

ثانيًا : بعد صلاة الظهر يتولى أحدهم تعريف المصلين بأهداف خروجهم . وأنهم جاءوا من بلاد وقبائل ومهن شتى لا يريدون غرضًا دنيويًا ، وإنما زاروهم لله ولدين الله راجين منهم أن ينصروهم فى هذا السبيل ، وبعد التعارف يكون الغداء والراحة .

ثالثًا : بعد صلاة العصر يلقى أحدهم موعظة قصيرة يحث فيها المصلين على الاشتراك مع الخارجين فى زيارات خاصة فى البيوت لمن يرون حاجتهم للزيارة .

رابعًا : قبل المغرب بساعة يجتمع الخارجون للاستماع إلى آداب الجولة العامة ويختار منهم أميرهم جماعة أو أكثر للتجول على الناس فى الأماكن العامة : الشارع ، المحل التجارى ، المقهى ، والنادى . ودعوة من يلقونه إلى المسجد بعد تذكيره بغاية وجوده ومستقبله الأخروى ، ويعين من بينهم أميرًا ودليلاً ومتكلمًا ، ويبقى واحد منهم منعزلاً لذكر الله فى المسجد « سببًا لنجاح الجولة » وآخر لاستقبال المستجيبين وثالثًا مع بقية الخارجين فى قراءة فضائل الأعمال .

خامسًا : بعد صلاة المغرب مباشرة يعلن أحدهم عن الموعظة الرئيسية بعد صلاة النافلة بالصيغة التالية « إن نجاحنا وفلاحنا بإتباع أوامر الله وعلى طريق رسوله ﷺ ، إن شاء الله بعد السنة الراتبة تستمعون إلى كلام الدين والإيمان بالتفصيل » .

وبعد النافلة يتكلم أحدهم فى نطاق الأصول الستة أو الصفات الست مثيرًا العاطفة والغيرة الدينية مستعينًا ببعض الآيات والأحاديث (الضّعيفة غالبا) والقصص (الإسرائيلية غالبا) .

ويختتم الدرس بالهدف الأساسى له : « التشكيل » ويعنون به دعوة الحاضرين وتسجيل المستجيبين منهم للخروج فى سبيل الله ، وبالدعاء الجماعى .

سادسًا : بعد صلاة العشاء يقرأ أحدهم قصة أو أكثر من كتاب « حياة الصحابة » لمحمد يوسف الكاندهلوى بقصد ألا يستكثر الدعاة جهدهم ونفقتهم ولحثهم على بذل المزيد .

سابعًا : يذكرهم واحد منهم أو أكثر بآداب الطعام والنوم قبل انصرافهم إليهما ، وربما ذكروا فى هذا الوقت أو غيره بآداب المساجد وآداب الغسل .

ثامنًا : قد يقتسمون ساعات الليل فى التهجد ، ويختلف جهدهم باختلاف أفرادهم ، ولكن على الجميع الاستيقاظ قبل نصف ساعة على الأقل من أذان الفجر لقيام شىء من الليل وصلاة الصبح .

تاسعًا : بعد الصلاة يحدثهم أحدهم عن عظمة الله وعن الدار الآخرة وربما تدارسوا الأصول أو الصفات أو إعادة تلاوة العشر سور القصار من القرآن حتى الشروق .

عاشرًا : بعد انتشار الشمس يصلون صلاة الضحى ويتناولون طعام الإفطار ، وينالون قسطًا من الراحة حتى الساعة التاسعة تقريبًا حيث يجتمعون لحلقة جديدة من التعليم والتشاور فى أعمال الأربع والعشرين ساعة التالية .

موقف الجماعة من القضايا الدينية والدنيوية :

(أ) **فى العقيدة** : لأن منهج الجماعة لا يتعرض بشكل مباشر لغرس العقيدة الصحيحة فى نفوس أفرادها فإنه لا يمكن الحكم عليهم بمجموعهم ، وإنما يختلفون باختلاف بيئاتهم فكما أنهم فى وسط الجزيرة العربية حنابلة وفى الهند أحناف من حيث المذهب الفقهى ،

فهم فى وسط الجزيرة العربية سلفيون غالبًا ، وفى الهند أشعريون غالبًا من حيث العقيدة .

فى القارة الهندية يغلب عليهم التصوف ، يقرر أحد الكتاب[1] أن لدى معظم أمرائهم فى الهند والباكستان ومنهم أميرهم العام إجازة البيعة على أربع طرق (الجشتية والنقشبندية والقادرية والسهر وردية) وأنهم يمارسونها دون تحفظ مع الأعاجم وبحذر مع العرب ، وأن بعض القدماء يمارسون كتابة الحجب على خليط من الآيات والأدعية والطلاسم .

ولكن هذا فيما يبدو (حتى الآن) ليس جزءا من الدعوة ولم يتأثر به إلا قليل[2] .

(ب) **فى السياسية** : جماعة التبليغ يعتبرون السياسة فيما يتعلق بنظام الحكم ، أمرًا يجب على الداعى تجنب الخوض فيه قولاً أو عملاً ، لأنها تفرق بين الأخ وأخيه ، وتثير الأحقاد بين المسلمين وقد تتسبب ممارستهم لها فى إيقاف عمل الدعوة ، وعلى هذا فهم لا يدخلون الانتخابات (مثلا) مرشحين ولا منتخبين ،ولا يؤيدون الحكم القائم ولا يعارضونه ، ولا يتعرضون لتنظيم الدولة فى دروسهم ومواعظهم مهمتهم إصلاح الفرد ومن الأفراد يتكون المجتمع رعاة ورعية .. كذلك يمنعون دروس العقيدة والأحكام الفقهية فى مساجدهم الرئيسية ويمنعون الإنكار اللفظى للبدع ، ويمنعون الإشتراك فى بعض أعمال

---

(١) الأستاذ سعد الحصين .

(٢) رأى آخر فى جماعة التبليغ ٥٧٨ .

الخير مثل توزيع الصدقات حتى لا يتهموا بأنهم يحصلون على إعانات من الدولة ، ويمنعون دعوة العالم والحاكم إلى الله مباشرة من أجل أن يكسبوا تأييدهما ، وحتى لا يثيروا سخطهما[1] .

(جـ) **فى التربية** : نجحت جماعة التبليغ فى جانب التربية نجاحًا عظيمًا ، يخرج العاصى معهم أياما معدودة فيترك معصيته ، ويتغلب على عادته السيئة (خصوصا فيما يأكل ويشرب ويلبس ويشتهى) يتدرب على إلقاء الموعظة دون جهد يذكر وباللغة العربية أو الهندية التى تلقاها بها .. وينشأ فى قلبه الاهتمام بالمستقبل الأخروى له ولأهله ولعامة البشر ، ويكتسب خُلقًا أفضل فى مختلف علاقاته ومعاملاته . كذلك التوجيه عندهم يقوم على اللين أكثر من القسوة ، وعلى البشارة أكثر من الإنذار وعلى القدوة الحسنة .. وهم – على حد تعبيرهم – لا يشيرون إلى القذى فى أعين إخوانهم ولا إلى المنكرات فى تصرفاتهم ولكنهم يعطونهم المرآة ويوفرون لهم فرصة النظر فيها ، وتفقد أحوالهم وإصلاح ما فسد منها ، هذه المرآة سنة رسول الله ﷺ خاصة فيما يتعلق بالآداب والأخلاق وهى من أهم حقول التربية[2] .

تقييم لجماعة التبليغ :

لا شك أن جماعة التبليغ كانت ولا تزال بجهودها المخلصة خيرًا وبركة على الإسلام والمسلمين ، لقد هدى الله على أيدى أتباعها الكثيرين فى الشرق والغرب خصوصًا فى أوربا وأمريكا .

---

(١) السابق ص ٥٧٩ .

(٢) السابق ٥٨٠ .

ولقد عاشرتُ بعضهم فى ميدان العمل والحياة وأشهد أنهم أمثلة حية للتواضع والأدب الجم والدعوة إلى الله – سبحانه – برفق ولين وسماحة ومودة ، ويكفى أن يكون بين صفوف تلك الجماعة الداعية الإسلامىّ « الشيخ إبراهيم عزت » الذى أحيا الله بإخلاصه وغيرته موات القلوب ، وكانت خطبه ومواعظه تنشرح لها الصدور وتطمئن بها الأفئدة ، ويهتدى بها الضال وتزيد المؤمن إيمانًا وإحسانًا ، لقد أجمعت قلوب العباد على محبته واتفقت كلمة العقلاء من الجماعات المختلفة على لطفه وأدبه وحكمته ،لقد كان صوتًا نديًّا تسعى إليه آلاف المصلين فى « جامع أنس » كل يوم جمعة ، فيعود الجميع وقد عاهدوا الله على الوفاء لدينه هذا حال واحد فكيف بالآلاف من الشباب والشيب الذين يجوبون المدن والقرى والنجوع فى أرجاء المعمورة داعين إلى الله ، مذكرين بيوم عرضه ولقاه .. ؟ !

ومهما يكن من أمر : فإن نجاح الدعوة يعود إلى الأسباب الآتية :

(أ) إخلاص مؤسسها الأول مولانا محمد إلياس وخليفته الأول ابنه محمد يوسف – رحمهما الله – وتفانيهما فى الدعوة إلى الله ، وبعدهما عن المظاهر وأساليب الدعاية والإعلان وتواضعهما مما أعطى قدوة حسنة للأتباع .

(ب) عنايتهما بالجانب الروحى للمسلم ، من الصلاة فى وقتها وقراءة القرآن وقيام الليل ، وتركيزهما على الدعاء فرادى وجماعات وهو من أنجح وسائل الدعوة ، والدعاء مخ العبادة وأقوى سلاح ضد النفس الأمارة بالسوء وضد العدو القاهر .

(جـ) وجود جماعة أتقياء صالحين على قدر كبير من التواضع والإيثار والبعد عن المشاكل ، وهى تتحرك مع المجموعات وتؤثر فى أفرادها وفى كسب المدعوين إلى صفوفها[1] .

مآخذ على جماعة التبليغ :

ذكر العلماء بعض السلبيات أو الملاحظات التى توجد فى جماعة التبليغ على الرغم من حسناتها الكثيرة – رأينا من الإنصاف وتتمة للبحث أن نوردها فيما يلى :

١ – أن هذا النجاح الكبير الذى حققته جماعة التبليغ ربما كان أحد الأسباب الرئيسية لعدم مراجعة الأخطاء فى المنهج وفى التطبيق .

٢ – أكثر من يغيرون حياتهم فى الخروج مع الجماعة سرعان ما يتسرب إليهم الوهن والضعف لعدم المتابعة بمجرد ترك الخروج لعدم وجود منهج تربوى يحمل على الاقتناع العقلى بالإسلام .

٣ – لاحظ – أحد الكاتبين – على بعض البارزين فى الجماعة من كبار الموظفين أو من التجار أنهم ضعفاء فى المعاملة مع الناس وعدم تحرى الحرام والحلال فى التعامل التجارى .

٤ – الخروج فى سبيل الله خطوة تربوية وتطبيقية رائعة وهى من أهم خصائص هذه الجماعة وعن طريق مكاسبها تضطرد زيادة عدد المؤمنين بها .

---

(١) دكتور حمد الصليفيح : بحث فى ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى ص ٦٠٥ .

إلا أن التركيز على مجرد الخروج لتزكية النفس والمبالغة فى تضخيم هذا العمل دون إعطاء المفهوم والتكامل للدعوة إلى الله والخروج فى سبيل الله ، كما هو فى حياة النبى ﷺ وصحابته يكاد يقتل روح الجهاد والإنفاق فى سبيل الله والاهتمام بشئون المسلمين .كما أن المبالغة فى المطالبة بالخروج فى تشكيلات الجماعة قد يترتب عليه عند بعض العوام إهمال حقوق النفس والأهل والأولاد لأن إدراك الفرد فى جماعة التبليغ بسيط قد لا يمكنه من الاعتدال والتوازن فى إعطاء كل ذى حق حقه ، وكيفية ترتيب الحقوق الواجبة والمستحبة على هدى سنة المصطفى ﷺ (إن لنفسك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه) .

٥ – تحقيق شهادة لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فى حياة المسلم – كمبدأ من مبادىء الجماعة – يكاد ينحصر فى التوكل وأداء الشعائر الظاهرة دون تصحيح العقيدة وتجريد التوحيد لله رب العالمين وتحقيق مبدأ الولاء ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ سورة المجادلة ٢٢ .

٦ – لا تجد من وسائل الجماعة وأصولها ما يدعو إلى إغاثة الملهوف وإطعام الجائع والمشاركة فى مصائب المسلمين فى الكوارث والزلازل والحرائق وغيرها ، فضلا عن تربية المنتسبين إليها على مجابهة أعداء المسلمين والحيلولة دون هتك أعراضهم ونهب أموالهم .

٧ – عدم القدرة على المساهمة فى بناء المجتمع المسلم لموقفهم الرافض للحضارة عمومًا وللحضارة الإسلامية بوجه أخص ، والاختلاف بين النظرية والتطبيق والقصور فى التفكير وعدم الاعتدال وفقدان التوازن قدر مشترك فى معظم مبادئ الجماعة وأصولها .. يصعب على الباحث تجاوزها :

– فدعوى الابتعاد عن الخلاف لا يتفق مع عدائهم للحركات الإسلامية .

– ودعوى الابتعاد عن السياسة لا يتفق مع تأييدهم للحكومات المستبدة والحكام .

– ودعوى التمسك بالسنة لا يتفق مع تطرفهم عن أئمة السلف وصحيح الحديث ومظاهر السلوك السوى فى سيرته ﷺ من الجهاد ومحاورة الخصوم ومجاهدة الأعداء ، والنكير على المشركين وإقامة المجتمع المسلم بمنهج متكامل فى الاقتصاد والسياسة والاجتماع[1] .. إلخ .

٨ – يكاد عملهم يقتصر على جماعة المسجد ، ثم تأثيرهم حتى فى هؤلاء تأثير وقتى ، إذ ليس لديهم اتصال منظم ومستمر مع هؤلاء الأفراد ، أو رعاية وتعهد كافيان لهذه البذور حتى تنمو وتترعرع ، وتثمر ، مع أنه اهتدى على أيديهم جماهير غفيرة فى الشرق والغرب خاصة فى أوربا وأمريكا .

---

(١) السابق ٦٠٧ .

٩ – ولأنهم يعتمدون كثيرًا جانب الترغيب والترهيب ، فإن أسلوبهم سيظل قاصرًا عن مواجهة تحديات الأفكار الإلحادية والمادية عموما ، فهذا أسلوب لايؤثر فى غير المتدينين ولابد من مرحلة سابقة لهذه المرحلة .

١٠ – ولعل نشأة هذه الجماعة فى بلد كالهند – أغلبية سكانه غير مسلمة هى التى أعطت أسلوبها هذه الطابع ، وأبعدتها فى اتخاذ الأساليب والوسائل المؤدية لإقامة حكم إسلامى ، باعتبار ذلك هدفًا بعيد المنال إن لم يكن مستحيلاً فى نظر تلك الجماعة .

١١ – إن قوة الباطل ، وطغيان الموجة الجاهلية العاتية ، لا يفيد معها موعظة يرق لها قلب السامع ثم تتركه يجرفه التيار الضخم فلابد من احتضان الفرد ، وتربيته ، وملاحقته حتى يصلب عوده ، وإلا فهو كالنبتة الصغيرة تتركها فى مهب الأعاصير ولعل من المفيد أن ننقل قول الأستاذ أبى الأعلى المودودى – مؤسس الجماعة الإسلامية فى باكستان – حيث يقول معلقا على مثل هذا الأسلوب فى العمل الإسلامى : « يصبح من العبث الدعوة إلى الإسلام على طريقة التبشير المسيحى ، ولو طبعت ملايين النشرات ، تدعو إلى التمسك بالإسلام ، وتصيح فى الناس أن اتقوا الله صباح مساء لما كانت ذات فائدة تذكر »[1] .

١٢ – إن بعدهم عن السياسة قد أوقعهم فى مزالق كثيرة ومنحنيات خطيرة منها مهاجمة الجماعة الإسلامية فى الباكستان التى تقف فى وجه الطغيان والفكر المادى الغازى[2] .

---

(١) نحو حركة إسلامية لفتحى يكن ص ١٠ .
(٢) د/ صادق أمين :الدعوة الإسلامية ٧٠ .

١٣ – إنهم يتوسعون توسعًا أفقيا كميًا لا نوعيًا إذ أن تحقيق التفوق النوعى يحتاج إلى رعاية ومتابعة ،وهذا ما تفتقده هذه الدعوة ذلك لأن الشخص الذى يدعونه اليوم قد لا يلتقون به مرة أخرى ، وقد يعود إلى ما كان عليه تحت تأثير مغريات الحياة وفتنتها .

١٤ – أسلوبهم يترك أثره بشكل واضح على رواد المساجد من المسلمين . أما أولئك الذين يحملون أفكارًا وأيديولوجيات معينة فإن تأثيرهم عليهم يكاد يكون معدومًا .

١٥ – يقال عنهم بأنهم قد أخذوا بعضا من الإسلام وتركوا بعضًا منه ، وهذا التجزىء لحقائق الإسلام يتنافى مع طبيعته الواحدة[1] .

---

(١) الموسوعة الميسرة ١٢٠ .

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

١ – مولده ونشأته :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على .. ولد فى بلدة (العُيَيْنَة) بنجد سنة ١١١٥هـ وتوفى عام ١٢٠٦هـ عن عمر يناهز اثنتين وتسعين سنة .

نشأ فى بيت علم وفضل ، والده ، وأجداده وأعمامه .. فجده الشيخ سليمان بن على كان من كبار علماء نجد مشهورًا بالعلم والفضل والورع والتقوى وقد تولى هذا الجد الكريم وظيفة الإفتاء فى نجد ، وتتلمذ عليه أكثر علماء نجد ، وكان يأوى طلاب العلم وفقراء التلاميذ ، الذين يتلقون العلم عنه وينفق عليهم من خالص ماله .

ثم خلفه ابنه الشيخ عبد الوهاب الذى تولى القضاء فى العيينة فى إمرة عبد الله بن محمد بن معمر .

وفى بيت هذا القاضى الذى عرف بالعلم والفضل نشأ وتربى على الاهتمام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وعلى يد والده القاضى تلقى مبادىء العلوم والفقه الحنبلى .

كما يذكر المؤرخون عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه كان سريع الحفظ فصيحًا فطنا حفظ القرآن الكريم قبل بلوغه العاشرة من عمره .

وبعد أن أخذ بحظ وافر من العلم على يد والده ، أخذ فى التنقل والترحال لطلب العلم والتزود من المعرفة .

وكانت رحلة الشيخ الأولى إلى المدينة المنورة ، وفيها التقى بعالمها فى ذلك الوقت الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدى فنهل من علمه ، وغرف من بحر معارفه .

وكان الشيخ عبد الله ذا حظ وافر من العلم وعلى خلق ودين ، ومن أبنائه إبراهيم بن عبد الله مصنف كتاب « العذب الفائض فى علم الفرائض » .

وكذلك أخذ – فى مدينة الرسول ﷺ – عن الشيخ محمد حياة السندى[1] » المدنى صاحب الحاشية على صحيح البخارى وصاحب كتابى « تحفة الأنام فى العمل بحديث النبى عليه أفضل الصلاة والسلام » و تحفة المحبين فى شرح الأربعين » .

وبعد خروجه من المدينة إلى نجد انطلق ميمما وجهه شطر البصرة فتعمق فى درس الحديث والفقه ، وكانت البصرة فى ذلك الوقت تموج بالعلم والمعرفة ، فهى كعبة القصاد وموئل طلاب العلم والمعرفة ،

---

(١) كان له اليد الطولى فى معرفة الحديث وأهله ومحبته وصنف فيه مصنفًا سماه « تحفة الأنام فى العمل بحديث النبى عليه الصلاة والسلام » وله مصنفات غيرها . رأيت له مصنفًا عجيبًا شرحًا على الأربعين النووية سماه « تحفة المحبين فى شرح الأربعين » أ . هـ ذكر ذلك ابن بشر فى عنوان المجد ٣٤/١ . وقال الكتانى فى فهارس الفهارس ٢٤٤/١ : « له شرح على الترغيب والترهيب فى مجلدين وشرح على الأربعين النووية ومختصر الزواجر والأربعين حديثًا من جمع للملا على القارىء ، والإيقاف على سبب الاختلاف وتحفة الأنام فى العمل بحديث النبى ﷺ أ . هـ .

وفي نفس الوقت ينتشر فيها الكثير من البدع ، وترتفع فيها القباب والأضرحة وتقام فيها سوق رائجة للشعوذة والدجل .

ومع هذا فقد صادف فى العراق عالمًا جليلاً هو (الشيخ محمد المجموعى) الذى كان أشبه بومضة من النور فى وسط ليل حالك كئيب .

وفى مجلس الشيخ المجموعى ، كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يواجه ما يرى أو يسمع من الأقوال والأفعال الشركية ، بكلمة الحق الواضحة الصريحة مما جعل ألسنتهم تتحرك بالإنكار على الشيخ ورميه بالمروق من الدين .

ثم قامت حملة عاتبة على الشيخ حيث تداعى عليه السفهاء والمشعوذون ، يشوشون عليه ويرجمونه بأقبح الكلمات ، ثم ما زالوا به حتى أخرجوه من البصرة مشيعًا بالسبّ والقذف بالألسنة والأيدى .

أخذ الشيخ طريقه عائدًا إلى نجد .. وفى الطريق إلى بلدة الزبير[1] كاد يموت عطشًا ورهقًا ، لولا أن سخر الله تعالى له رجلاً[2] رآه على تلك الحال مع ما عليه من جلال ووقار ، فأخذته الشفقة به ، فأسعفه بالماء ، وحمله على حماره ، حتى أوصله إلى بلدة الزبير .

ومن بلدة الزبير سار الشيخ إلى الأحساء ، فلم يمكث بها إلا قليلاً ، ثم سار منها إلى « حريملاء » التى كان والده قد استقر بها وفى

---

(١) بلدة الزبير لواء من ألوية البصرة وفيها قبور طلحة ، والزبير بن العوام .. وابن سيرين والحسن البصرى .

(٢) هذا الرجل من بلدة الزبير ، ويقال له : أبو حمدان .

(حريملاء) – البلدة التى توفى بها والده – بدأ ينشر دعوته ، ولكنه لم يجد أذنًا صاغية لدعوته ، بل وجد من أهلها الصد والإيذاء .. فانتقل إلى بلدة العيينة فتلقاه أميرها عثمان بن معمر بقبول حسن ، وكان بها كثير من الأشجار والأحجار التى يعظمها أهل القرية ويذبحون لها ، كقبة زيد بن الخطاب وشجرة أبى دجانة ، فساءه ما يرى من هذا الخبط فى الضلال ، وأقنع أمير البلدة بأن ما يفعله أهلها منكر وبدعة لابد من وضع حد لها .

فخرج معه يصحبهما عدد من الجنود فقطعوا الأشجار التى كان الناس يلوذون بها وهدموا المشاهد والقباب ومن بينها قبة زيد بن الخطاب ، فشكوه إلى حاكم الأحساء والقطيف آنذاك ، فأرسل كتابا إلى عثمان بن معمر يأمره فيه بإخراج الشيخ من بلده فخرج منها وولى وجهه شطر الدرعية حيث نزل ضيفًا عند أحد تلاميذه وهو الشيخ أحمد بن سويلم العرينى وذلك سنة ١١٥٨هـ ، فلما علم بمقدمه أمير الدرعية محمد بن سعود زاره فى بيت مضيفه وجرى بينهما حديث حول ما يرى فى قوم أهل نجد من الشرك الخفى ، والبعد عن عقيدة التوحيد ، وتسرب البدع المنكرة كدعاء الأموات ، وتقديس لبعض الأشجار والأحجار ، وهو ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى .

وكان أهل نجد ينتابون قبرًا يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور الصحابى المعروف يسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات وكان النساء والرجال يأتون بُليدة الفدا حيث كثر ذكر النخيل المعروف بالفحال ويفعلون عنده أقبح الأفعال ، ويتبركون به ويعتقدون فيه ،

فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج فتضمه بيديها ترجو أن يفرج عنها كربها وتقول :

يا فحل الفحول أريد زوجًا قبل الحول .. !!

وكانت طوائف من الناس تنتاب شجرة الطرفية فيتبركون بها ويعلقون الخرق عليها إن ولدت المرأة ذكرًا لعله يسلم من الموت !

وفى أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن الله تعالى خلقه فى الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ، ودعت الله فانفلق لها الغار بإذن العلى الكبير ، فأجارها من ذلك السوء ، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويبعثون بصنوف الهدايا ، لأجل هذا دعاها الناس لتفرج عنهم الكرب ، ونسوا أن يدعوا الله تعالى الذى فرج عنها وأنه هو الذى أجرى لها هذه الكرامة – إذا صح الحادث – ولكن الحادثة مختلقة اخترعها دجال تضليلاً للعقول وابتزازا للمال عن طريق السحر والشعوذة !

ومهما يكن من أمر ، فقد استطاع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يصل إلى قلب الأمير ، وأن ينال منه وعدًا بمؤازرته وتأييده فيما عزم الشيخ عليه من دعوة للإصلاح ومقاومة للبدع ، وطمس لمظاهر الشرك وتطهير الدين مما اختلط به من بدع وخرافات ..

وكان مما اشترطه عليه الأمير ابن سعود لمناصرته قائلاً : « إذا قمنا بنصرتك وجاهدنا معك فلا ترحل عنا أو تستبدل بنا غيرنا » . وكانت نجد فى تلك الفترة مفككة الأوصال غير خاضعة لإمارة واحدة مما أدى إلى الفوضى ، وسفك الدماء ، فتعاهدا على جمع

الكلمة وإظهار دين الله ، وإصلاح العقيدة والسلوك ، وإزالة الشبهات ومقاومة المحرمات ، فدان لدعوته من دان من الهداة والمؤيدين وثار عليه من ثار من الخصوم والمناوئين ، فأهدروا دمه ودم إخوانه الموحدين ، وقد وجد من الإمام محمد بن سعود فى هذه المحنة سندًا متينًا ، ومدافعًا أمينًا ضد العوادى ، حتى استقام له الأمر ، وضمن سلامة الدعوة الإسلامية بعد عشرين سنة من النضال المتواصل ، وفى سنة تسع وسبعين ومائة وألف من الهجرة توفى الإمام محمد بن سعود فخلفه ابنه عبد العزيز رحمة الله عليهما .

خلف والده فى الحكم ، وفى مؤازرة الشيخ ومناصرته ، وملاحظة المتمردين والمنشقين ، حتى فتح الرياض وتهامة وما يليها من اليمن والحجاز ما عدا الحرمين الشريفين ودانت له نجد كلها وبعد مضى سبع وعشرين سنة من ولايته توفى الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن سن تناهز التسعين وذلك سنة ألف ومائتين وست من الهجرة .

مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

١ – كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد .

٢ – كتاب الإيمان .

٣ – أصول الإيمان وفضائل الإسلام .

٤ – نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين .

٥ – فضائل القرآن .

٦ – السيرة المختصرة .

٧ – السيرة المطولة .

٨ – مختصر الصواعق .

٩ – مختصر العقل والنقل .

١٠ – مختصر منهاج السنة .

١١ – مختصر فتح البارى .

١٢ – مختصر زاد المعاد لابن قيم الجوزية .

١٣ – مجموع الحديث (المرتب على أبواب الفقه) .

١٤ – مختصر الشرح الكبير لابن قدامة المقدسى .

١٥ – كشف الشبهات .

١٦ – آداب المشى إلى الصلاة .

١٧ – الاستنباط .

١٨ – مسائل الجاهلية .

١٩ – كتاب الكبائر .

٢٠ – مفيد المستفيد فى حكم تارك التوحيد .

٢١ – مختصر الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف للمرداوى ، الحنبلى .

جوهر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب :

تقوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على التوحيد الخالص لله رب العالمين فى العبادة .. وإخلاص العبادة لله تعنى الأمور الآتية :

– أن يكون الدعاء له تعالى كما فى قوله :

﴿ ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدًا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾[3] .

– وأن تكون الصلاة والنسك والمحيا والممات لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾[4] .

– وأن تكون الشفاعة لله ، وبإذنه ، ومنه تطلب قال : ﴿ قل لله الشفاعة جميعًا ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾[6] .

---

(١) سورة يونس آية ١٠٦ .
(٢) سورة الجن آية ١٨ .
(٣) سورة الأحقاف آيتى ٥/٦ .
(٤) سورة الأنعام الآيتان ١٦٢ و١٦٣ .
(٥) سورة الزمر آية ٤٤ .
(٦) سورة الأنعام آية ٩٤ .

– وأن يكون الحلف بالله تعالى لقول الرسول ﷺ : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك »[1] .

– وفى باب صفات الله تعالى وأسمائه « أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه رسوله – ﷺ من غير تحريف[2] ولا تعطيل[3] ولا تكييف[4] ولا تمثيل[5] .

وما قال به الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى باب الصفات هو مذهب السلف–رضى الله عنهم–«ومذهب السلف هذا ، ليس مذهب الحنابلة فقط ، أو الإمام ابن تيمية أو الشيخ محمدبن عبدالوهاب ، بل هو مذهب (أئمة الإسلام قاطبة : الإمساك عن التأويل مطلقا مع نفى التشبيه) .

فالأئمة : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، ومحمد بن الحسن ، وإبراهيم بن إسحاق الحربى ، وعبد الله بن المبارك وسفيان الثورى ، ومحمد بن إسماعيل البخارى ، والترمذى وأبو داود السجستانى وغيرهم كلهم كانوا على هذا المسلك »[6] .

– وفيما يتعلق بالرسل – عليهم السلام – يوجب الإيمان بهم ، وبما جاءوا به من عند الله ويدعو إلى تجريد المتابعة لمحمد بن عبد الله ﷺ

---

(١) رواه الترمذى فى النذور والنسائى فى الأيمان وابن ماجة فى الكفارات .

(٢) كتحريف ألفاظ الأسماء والصفات بزيادة أو نقصان ، أو تغيير الحركات الإعرابية .

(٣) التعطيل : هو نفى الصفات الإلهية ، وإنكار قيامها بذات الله سبحانه وذلك بجحد أسمائه وصفاته كمن قال بقدم المخلوقات وجحد أن الله خلقها وصنعها .

(٤) التكييف : هو تعيين كيفية الصفات ، وإثبات كنهها .

(٥) التمثيل :هو تشبيه صفات الخالق ، بصفات المخلوقين .

(٦) جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين للشيخ/ نعمان خير الدين الألوسى ٢١٢ .

وإلى القيام بحقوقه من الحب والتوقير ، وتقديم ما جاء به على كل ما سواه ، والوقوف معه حيثما وقف ، والانتهاء إليه حيثما انتهى كما دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الإيمان بملائكة الله وكتبه على الوجه الذى يرضى الله عز وجل .

– فى أمور الآخرة دعا إلى الإيمان بما أثبتته النصوص من البعث بعد الموت ، والحساب والميزان والحوض والصراط والجنة والنار والشفاعة وغير ذلك مما ثبتت به النصوص .

– فى أصحاب رسول الله ﷺ قرر أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم على بن أبى طالب ، ثم بقية العشرة ثم أهل بدر ، ثم أهل بيعة الرضوان ثم سائر الصحابة ودعا إلى تولى جميع الصحابة والكف عما شجر بينهم ، وأوضح أنهم أحق أمة محمد ﷺ بالعفو عما صدر منهم ، وأقربها إلى المغفرة لفضائلهم وسوابقهم ، وحذر من سلوك مسلك الروافض والنواصب فيهم[1] .

– فى علماء الأمة من أهل الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم الشرعية أثبت لهم الفضل والإمامة ، ويأمر بقبول ما لا يتعارض مع النصوص من أقوال أئمة العلم ، ومنع الانفراد عنهم برأى مبتدع أو قول مخترع ، ويرى للأئمة الأربعة أبى حنيفة ، ومالك والشافعى ، وأحمد بن حنبل من الفضل والإمامة ما يليق بمكانتهم ، ومذهبه مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ولكن إذا بانت له سنة رسول الله ﷺ عمل

---

(١) ١٤٧/١ – ١٤٨ (بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) .

بها ولا يقدم عليها قول أى كائنٍ من كان ، يقول فى الرسالة التى اختصرت لأهل مكة : « إذا صح لنا نص جلى من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم غير منسوخ ولا مخصوص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة أخذنا به وتركنا المذهب : كإرث الجد والإخوة فإنا نقدم الجد وإن خالف مذهب الحنابلة »[1] .

هذا .. وقد تحدث ابن حجر آل بوطامى عن الأصول التى دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقال :

المسـائل التى دعا إليها الشيخ ووقع فيها الخلاف بينه وبين الأكثرين .

١ – توحيد العبودية :

ويقال له توحيد الألوهية ،وهو الذى بعث الله من أجله الرسل ، من نوح إلى سيدنا محمد ﷺ ، كما قال تعالى : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » .

وحيث رأى الشيخ أهل نجد وغيرها ، قد ألّهوا قبور الأنبياء والصالحين ، وبعض الأحجار والأشجار ، وصرفوا بعض العبادات إليها ، كالنذر والحلف والنحر والاستعانة والاستغاثة إلى غير ذلك ، مما لا ينبغى صرفه إلا لله ، أنكر عليهم ، وبين لهم أن العبادة هى طاعة الله ، بامتثال ما أمر ، وأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال .

---

(١) ١٤٧/١ – ١٤٨ (بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) .

وأفراد العبادة كثيرة : منها الصلاة والصيام ، والصدقة والنذر ، والذبح ، والطواف ، والاستعانة والاستغاثة . فمن صرف منها شيئًا لغير الله يكون مشركًا ، قال الله تعالى : ﴿ ومن يدعُ مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابُه عند ربِّه إنه لا يُفلحُ الكافرون ﴾ . فاتبعه بعضهم واعتنق مبدأه رغبة واختيارًا . وأبى الأكثرون متمسكين بتقليد الآباء والخضوع للعادات ، وفشو هذه الأعمال فى سائر الأمصار والقرى ، وسكوت الأكثرين من العلماء .

٢ - التوسل :

التوسل قسمان : قسم مطلوب ومرغوب فيه ، وهو توسل بالإيمان وبأسماء الله الحسنى ،وبالأعمال الصالحة ، كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم ، ففرج الله عنهم .

والثانى :التوسل المبتدع : وهو التوسل بالذوات الصالحة مثل أن يقول الشخص :(اللهم إنى أسألك بجاه الرسول أو بحرمة فلان الصالح أو بحق الأنبياء والمرسلين ، أو بحق الأولياء الصالحين) .

فنهاهم الشيخ ، عن القسم الثانى ، إذ لم يرد عن الرسول ولا أصحابه رضى الله عنهم ، وهو دعاء ، والدعاء عبادة ، ومبناها على التوقيف ، ويعبد الله بما شرع ، لا بالأهواء والبدع .

وتمسك المجوزون بآيات ، لا تمتُّ إلى دعواهم بصلة كقوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ . إذ التفسير الوارد عن السلف وأجلاء المفسرين : أن ابتغاء الوسيلة ، يكون بالأعمال الصالحة .

كما تمسكوا ببعض أحاديث موضوعة ، كحديث توسل آدم بالنبى ، لما اقترف الخطيئة ، وضعيفة ، كحديث الأعمى ، وحديث فاطمة بنت أسد ، ولا حجة فى موضوع ولا ضعيف .

٣ – منعه شد الرحال :

منع من شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة كما فى الحديث الصحيح « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » .

ولم يلتفت الشيخ إلى تأويل المؤولين والمخالفين كما أن شد الرحال لطلب العلم ، أو لزيارة الأرحام ، أو للسعى وراء الكسب ، خارج عن دائرة النزاع .

لأن هذه الأشياء وردت بها أوامر شرعية .

وقد سبق الشيخ إلى منع شد الرحال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وابن القيم ، والجوينى إمام الحرمين من الشافعية ، والقاضى عياض ، من المالكية . وليس للمجوزين أية حجة يصح الاعتماد عليها .

٤ – البناء على القبور وكسوتها وإسراجها وما إلى ذلك :

حرّم الشيخ : البناء على القبور ، وكسوتها وتعليق الستور عليها وإسراجها والكتابة عليها وإقامة السدنة حولها وزيارتها : الزيارة الشركية التى تنجم منها مفاسد عديدة كالتمسح بالقبر والطواف حوله ، والصلاة إليه ، ودعاء القبور فى جلب نفع ، أو دفع ضر .

واستند الشيخ فى منعه وتحريمه إلى أدلة صحيحة من الأحاديث الصحيحة : كحديث « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وحديث : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد إلخ » .

وأمر الشيخ بهدم تلك القبب المشيدة ، اتباعًا للأحاديث الصحيحة ، كحديث أبى الهياج الأسدى ، لما قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه : « ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته » .

وفقهاء المذاهب الأربعة وغيرها : قد سبقوا الشيخ بمنع هذه الأمور وتحريمها ، وإن عبر بعضهم بالكراهة فى بعض منها . فإنما القصد كراهة التحريم لا التنزيه ، والكراهة فى القرآن والسنة على لسان السلف تطلق على التحريم .

والكراهة بمعنى : « لا يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها » اصطلاح حادث لا عبرة به ، كما لا عبرة بقول بعض الفقهاء بتحريم البناء على القبر ، إن كان فى أرض مسبلة لئلا تضيق الأرض على الموتى ، وإن كان فى ملكه فلا ، بل يكره .

وإنما قلنا ، لا عبرة به ، لأن الأحاديث المانعة من البناء ، والآمرة بهدمه عامة ، وما أتى عن الرسول ﷺ ما يخصصها .

وليست علة التحريم تضييق الأرض كما زعم أولئك ، بل العلة أن البناء يفضى إلى تعظيم المقبور ودعائه من دون الله ، وهذا أمر مشاهد ملموس ، لا يقبل الجدل والنزاع .

٥ – توحيد الأسماء والصفات :

قد سبق ما جاء فى رسائل الشيخ ، أنه فى المعتقد ، على ما كان عليه السلف الصالح ، من الصحابة والتابعين وتابعيهم من الأئمة الأربعة وغيرهم ، وهو إثبات الأسماء ، والصفات من غير تمثيل ولا تكييف .

ولم يرق للمخالفين ، هذا الاعتقاد ، حيث كانوا مؤولين ومقلدين للجهم بن صفوان والجعد بن درهم ، مستمسكين بشبه فلسفية لا تتفق مع آى القرآن والأحاديث الصحيحة ، ومعتقد الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين رضوان الله عليهم أجمعين .

٦ – إنكاره البدع :

أنكر الشيخ البدع والمحدثات فى الفروع . كالاحتفال بالمولد ، والتذكير قبل الأذان ، والصلاة على الرسول بعد الأذان جهرًا ، والتلفظ بالنية وقراءة حديث أبى هريرة ، عند صعود الخطيب على المنبر .

كما أنكر طرائق الصوفية المتبدعة ، وما إلى ذلك من المبتدعات التى لم يرد فى استحبابها عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه .

وقد ألف العلماء قبل الشيخ فى إنكار البدع والمحدثات ، كابن وضّاح والطرطوشى ، والشاطبى[1] .

يتضح مما سبق أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التى قام بها دعوة سلفية . تقوم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ « وقد أطلق على أهل نجد خطأ فى القرن الماضى اسم الوهابيين ونسب إليهم أنهم

---

(١) أحمد بن حجر آل بوطامى :الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٤٣ – ٤٧ .

أهل مذهب جديد فى الإسلام إلا أن الحقيقة الآن أصبحت معروفة للناس » .

« فأهل نجد سلفيون يقلدون فى المسائل الاجتهادية الإمام أحمد بن حنبل ، وقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى القرن الماضى دعوة إصلاحية خالصة لوجه الله ، سداها ولحمتها الدعوة إلى الرجوع إلى الإسلام الصحيح ، وترك البدع وهدم معالم الشرك والخرافات والأوهام .

« وأما نسبة المذهب الجديد إليهم فقد حدث بسبب اختلاط الدعاية التى بثت ضدهم بعناصر سياسية ، بقصد تنفير الناس منهم ، وعدهم خارجين على الإسلام ، إلا أنهم مسلمون ، سنيون ، موحدون ، سلفيو العقيدة ، خالصو الإيمان »[1] .

ليست إذن دعوة الشيخ – رحمه الله – دعوة جديدة فى الإسلام ، إنما هى محاولة لعودة الناس إلى مذهب السنة والجماعة وطريقة السلف الصالح بعيدًا عن البدع والخرافات والشعوذة وقد جاءت السنة المطهرة تحث على اتباع هدى النبى ﷺ فيما أمر ونهى ، وتحذر من الابتداع فى الدين بالنقص أو الزيادة فقال ﷺ « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » وقال أيضًا : « كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد » أى مردود لا يقبل من صاحبه .. وبين القرآن الكريم أن الرسول ﷺ ترك لنا الدين كاملا لا نقص فيه فقال عز من قائل : ﴿ اليوم أكملت لكم

(١) قلب الجزيرة العربية – للأستاذ فؤاد حمزة ٩٧ .

دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾[1] . ولعل من الخير أن نترك الشيخ يوضح لنا أصول دعوته فيقول في إيجاز وتركيز : « مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف ، التي هي الطريق الأسلم والأعلم والأحكم ، خلافا لمن قال : طريقة الخلف أعلم « وهي أنا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ونكل علمها إلى الله تعالى مع اعتقاد حقائقها ،فإن مالكا – وهو من أجل علماء السلف – لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[2] .

قال الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ،والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ونعتقد أن الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى ،ولا يكون في ملكه إلا ما أراد ، فإن العبد لا يقدر على خلق أفعاله ، بل له كسب رتب عليه الثواب فضلاً والعقاب عدلا .

ونحن في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم ، لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة ونحوهم ، ولا نقرهم ظاهرًا على شيء من مذاهبهم الفاسدة ، بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة .

ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا أحد يدعيه ، إلا أنا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الأربعة ،

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) سورة طه الآية ٥ .

أخذنا به وتركنا المذهب كإرث الجد والإخوة ، فإنا نقدم الجد بالإرث وإن خالفه مذهب الحنابلة .

ولا نفتش على أحد فى مذهبه ولا نعترض عليه إلا إذا اطلعنا على نص جلى مخالف لمذهب أحد الأئمة . ولا مانع من الاجتهاد فى بعض المسائل دون بعض ، ولا مناقضة لعدم الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة الاختيارات لهم فى بعض المسائل مخالفة للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه »[1] .

من ثمرات الدعوة المباركة :

من فضل الله على عباده المؤمنين المجاهدين فى سبيله ، أنه سبحانه يبارك عليهم فى أعمالهم وأقوالهم ، فتكون أعمالهم منارات هدى يهتدى بها الناس ، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تلك الدعوات الطيبة المباركة ، الداعية إلى الله تعالى وإلى صراطه المستقيم ونبذ البدع والضلالات .

ولا ريب أن انتشار المبادىء التى دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكن سهلاً مذللاً فى أوطان غلبت عليها البدعة وفشت فيها الرذيلة والخرافة ، ولقد كان من العسير قبل دعوة ابن عبد الوهاب – مقاومة هذه الطوفان من الضلالات التى عمت كثيرًا فى أرجاء الوطن الإسلامى .

ويذكر الجبرتى حادثة تبين لنا المصاعب التى كان يواجهها من يعمل على محاربة البدع ومجاهدة أصحابها لأن أصحابها يعلمون أن

---

(١) الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية : جمع الشيخ سليمان بن سحمان ص٣٨ .

وجودهم المادى والأدبى مرتبط ببقاء تلك الخرافات بين العوام والجماهير .

روى الجبرتى « المؤرخ المصرى » فى تاريخه المعروف « عجائب الآثار » تلك الحادثة التى وقعت فى شهر رمضان ١١٢٣هـ وذلك قبل أن يقوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوة التوحيد – ولد رضى الله عنه ١١١٥هـ – يقول الجبرتى عن هذه الحادثة :

« إن واعظًا تركيًا وفد من الروم إلى مصر ، فى تلك السنة (١١٢٣هـ) وجلس يعظ الناس فى جامع « المؤيد » بالقاهرة .. وقد كثر عليه الناس وازدحم بهم المسجد ، ثم انتقل من الوعظ ، فذكر ما كان يفعله أهل مصر بضرائح الأولياء ، وإيقاد الشموع على قبور الأولياء ، وتقبيل أعتابهم ، وأن ذلك كفر يجب على الناس تركه وعلى ولاة الأمور السعى إلى إبطال ذلك » .

« وقد ذكر – أى الواعظ – عن قول الشعرانى فى كتابه « الطبقات الكبرى » أن بعض الأولياء ، اطلع على اللوح المحفوظ[1] فقال الواعظ : إنه لا يجوز ذلك ، ولا يطلع عليه الأنبياء فضلاً عن الأولياء .. وكان

---

(١) ذكر ذلك الشعرانى فى ترجمته لإبراهيم الدسوقى ، صاحب الضريح المعروف بمدينة دسوق بمصر ، كما ذكر ذلك عن أحمد البدوى ، صاحب الضريح المعروف بمدينة طنطا بمصر . وكان فيما ذكره الشعرانى عن إبراهيم الدسوقى أنه كان مع رسول الله ﷺ وبعض الأولياء فى الحضرة الإلهية وأنه قيل له :يا إبراهيم اذهب إلى النيران وقل لها أن تغلق أبوابها وإلى الجنان أن تفتح أبوابها ، ففعل ذلك ، وأغلقت النيران ، وفتحت الجنان .

فيما قال الواعظ إنه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الأولياء ، كما لا يجوز بناء التكايا[1] ، ويجب هدم ذلك جميعًا » .

ثم يقول الجبرتى معلقا على ما كان لدعوة هذا الواعظ من أثر ، وما جرى بعدها من أحداث :

« فقامت لهذا قيامة العلماء ، فدسوا عليه من يشوش ،ويخفت صوته » .

ثم يقول الجبرتى : « وهنا أسرع بعض الناس إلى علماء الأزهر ، ليفتوهم فى قول هذا الواعظ » .

فماذا قال علماء الأزهر يومئذ فى هذا الذى يدعو إليه الواعظ من القضاء على تلك البدع التى تنخر فى عقيدة المسلمين كما تنخر السوس فى حبات البر ؟

يقول الجبرتى :

« فكتب شيخان من شيوخ الأزهر ، وهما الشيخ أحمد النفراوى ، والشيخ أحمد الخليفى ، وهما من كبار شيوخ الأزهر ينتقضان قول الواعظ ، ويطلبان من الحاكم زجره .

---

(١) التكايا : هى دور كانت تقام للدراويش من الكبتاشية ، وتوقف عليها الأوقاف الكثيرة حيث يأكل من ريعها هؤلاء الدراويش ، لا يباشرون أى عمل ، بل يقضون حياتهم فى لهو ورقص وارتكاب للفواحش .

« وأخذ بعض الناس هذه الفتوى ، فدفعوها إلى الواعظ فى مجلس وعظه ، فلما قرأها غضب ، وقال : إن العلماء أفتوا بغير ما قلت ، وأنا أريد أن أجادلهم فى مجلس القاضى .. فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق . فقال له أنصاره : نحن معك لا نفارقك .. فنزل عن كرسى وعظه واجتمع عليه الناس قريب من ألف ، فسار بهم وسط القاهرة إلى أن دخل بيت القاضى .. فلما رآهم القاضى بهذه الكثرة انزعج منهم ثم سألهم عما يريدون ؟ فقالوا : نريد أن يحضر هؤلاء الذين أصدروا هذه الفتوى لنباحثهم أمامك .. فقال القاضى : اصرفوا هذه الجموع ثم نُحضرهما ونستمع إلى مجادلتكم معهما ..ولكن أحدًا لم ينصرف ،بل تكاثروا على القاضى وقالوا له :

ماذا تقول أنت فى هذه الفتوى ؟ فقال : هى باطلة[1] ..فطلبوا منه أن يكتب حجة بذلك .. فلما رأى القاضى أن الأمر جد ، وأنهم لا يريدون أن يتركوه ، أراد أن يعمل فيهم الحيلة للواعظ ومن معه .

« فقال : إن الوقت قد ضاق ، والشهود[2] قد خرجوا . فلنترك ذلك إلى الغد ..

« فلما سمعوا ذلك من ترجمان القاضى – لأن القاضى تركى ولا يعرف العربية – لما سمعوا من الترجمان هذا الكلام ، ضربوه واختفى القاضى ومعه حريمه !!

---

(١) إن هذا القاضى ما قال ذلك إلا خوفا من العامة وهجومهم عليه .

(٢) هؤلاء شهود من المرتزقة ، كانوا يلزمون مجلس القاضى ويستشهدون من كل طالب شهادة لقاء أجر معلوم .

وهل انتهى الأمر عند ذلك ؟ كلا فإن الرواية لم تتم فصولاً .. ويمضى الجبرتى فى إتمام هذه الرواية حيث يستدعى الواعظ إلى مجلس الوالى وقد قيل له : إن الوالى يريد أن تجتمع عنده مع هؤلاء العلماء الذين تتهمهم فيما أفتوا به ..

وهناك فى دار الوالى كان الكيد العظيم لهذا الواعظ حيث تخطفه الجند وألقوا به إلى حيث لا يعلم إلا الله ، وبهذا اختفى الواعظ إلى يوم الناس هذا .

وعلى الرغم من النصر الموزر الذى لقيته دعوة الشيخ وقيام دولة تدعو لمبادئها وتناصرها ، واعتناق كثير من شباب العالم الاسلامى لأفكارها وعقائدها ، إلا أن الدعوات الأخرى عملت – ولاتزال – على صرف الجماهير عنها وتنفير الناس من اتباعها .

يقول الأستاذ طـه المدور – فى كتابه «الديانات والحضارات» ص١٣٩ وهو يتحدث عن الصورة التى كان عليها الرأى العام فى دعوة الشيخ أيام مطلعها وما أثارت فى العالم الإسلامى وغير العالم الإسلامى يقول :

« وماجت الأقوال عقيب ذلك – أى عقيب الدعوة – تتضارب حول هذا المجاهد المجدد خارج القطر النجدى ، فقام من اتهمه بالمروق والإلحاد وأخذ آخرون يدعون بأنه – يحاول نشر مذهب القرامطة وانتشرت فى أوربا شتى الشائعات عن مذهب هذا الرجل اللبيب ، وعلق عليها الكثير من المستشرقين تعليقات مختلفة متباينة ،

فشبهه بعضهم بـ (لوثر)[1] البروتستنتى وآخرون رفعوه إلى مرتبة الفلاسفة[2] ، حتى وجد من جعله صاحب مذهب خامس فى الإسلام ، بعد المذاهب الأربعة » .

ثم يقول الأستاذ طه المدور :

« ولكن اتضح بعد ذلك أن هذه التقولات المتضاربة فى حق (الوهابية) كانت غير صحيحة ، لأنها - أى الدعوة - تبعد عن القرمطية ، وعما يسمونه بالمروق عن الدين بعد السماء عن الأرض .

« وعلى العكس مما يتقوله أعداء الدعوة ، فإن تعاليمها العتيدة وجدت متطابقة مع نصوص القرآن والأحاديث النبوية .. حتى إنه فى سنة ١٨١٥م سافر مندوبان عن (الوهابية) وقابلا والى مصر آنذاك (محمد على باشا الكبير) فأمر رهطًا كريمًا من العلماء ومن رجال الأزهر بفتح باب المناظرة بينهم وبين ذينك الشيخين الوهابيين .

« فعقد الطرفان عدة اجتماعات ، وطلب فيها علماء مصر من المندوبين النجديين إعطاء التفاصيل الوافية عن المذهب الوهابى .. فراحت المناظرات تجرى بين الجانبين واتسع نطاق الجدل والمدارسة ، حتى عقدت راية الفوز فى النهاية للوهابيين ، وذلك باقتناع علماء مصر بأن

---

(١) لوثر :هو مارتن لوثر ،من دعاة الإصلاح الدينى فى المسيحية انفصل عن الكنيسة بشأن ما تدعيه من سلطان لها على غفران الذنوب وحرمان من تحرم من رحمة الله وإكرام القديسين والرهبان ورفعهم إلى مرتبة الألوهية . (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) .

(٢) الأصح أن يقال : إنهم أنزلوه إلى مرتبة الفلاسفة لأن الفلسفة يحوم حولها الشك والإلحاد غالبًا .

تعاليم المذهب الوهابى تنطبق بمجموعها على منطوق الآيات القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ » .

ثم يقول الأستاذ المدور :

« وأغرب من هذا ، فقد أثبت الضيفان الوهابيان خلال تلك المناظرات الدينية أنهما يحفظان القرآن الكريم والمعانى العديدة من الأحاديث النبوية » .

« وقد نشر علماء الأزهر على إثر ذلك بيانا أعلنوا فيه أنهم لم يروا شذوذًا فى المبادئ الوهابية .. وفوق ذلك كان من جملة ما نقله المندوبان الوهابيان إلى مصر كتابًا خطيًّا فى العقائد . وضعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن المذهب الوهابى ، فطالعه العلماء فى الأزهر ، وصرحوا بعد ذلك بلسان واحد قائلين :

« إذا كانت الوهابية كما سمعنا وطالعنا فنحن وهابيون »[1] .

---

(١) ليست الوهابية مذهبًا ، وإنما هى دعوة مجددة للدعوة الإسلامية من أساسها وهى المؤمنة بالله الأحد الواحد لا شريك له ، المطهرة من أرجاس الشرك فليس فيها جديد وإنما هى الإسلام الحنيف المبرأ من الشرك أما المذاهب الأربعة ، المعروفة فى الإسلام فهى اجتهادات فى الفروع ، التى لا تمس الأصول أبدًا حيث لا اجتهاد فى هذه الأصول ، من الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .